المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام ـ دائرة الشؤون الثقافية والنشر ـ
الجمهورية العراقية

٤

المجلد الثاني عشر ـ العدد الرابع ـ ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٣ م

WWW.ATTAWEEL.COM

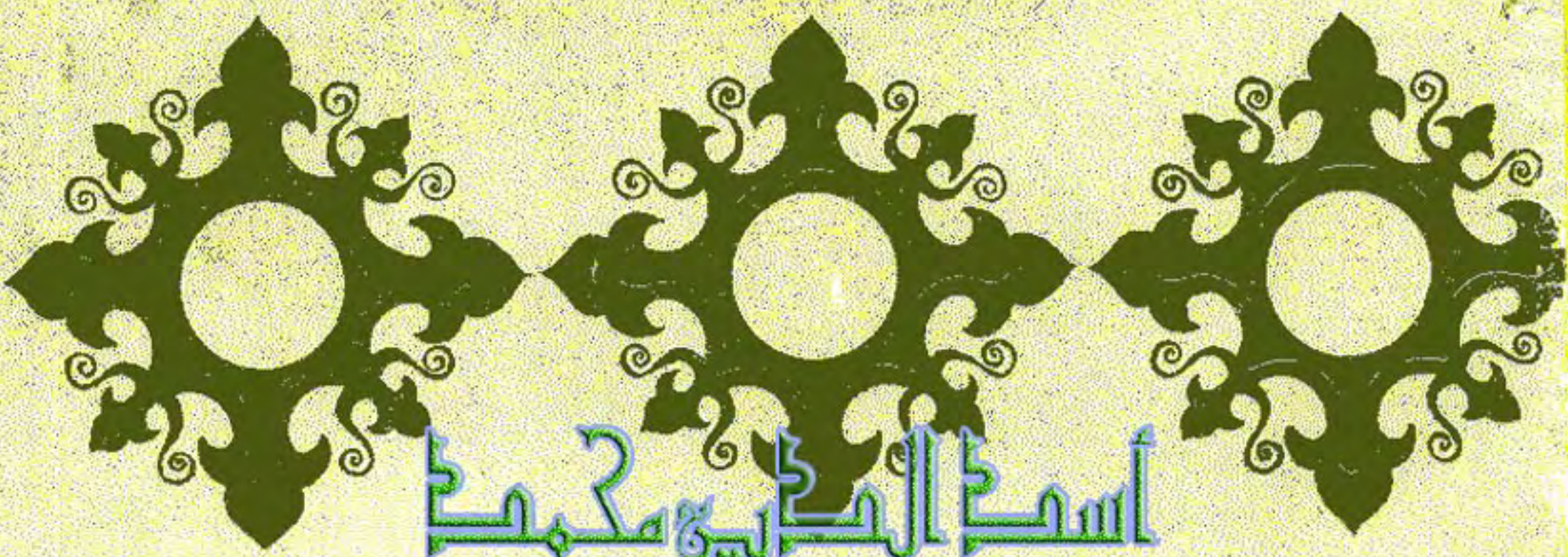

أسد الدين محمد

عدد خاص

الفكر العسكري عند العرب

البحرية العربية في الأندلس

منذ بداية تأسيسها الى عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر

بقلم

محمد عبدالعزيز عثمان

مدرس اعدادية الحكمة
محافظة نينوى ـ المنصور

تمهيد

عرف العرب قبل الاسلام البحر وركوبه وبخاصة سكان المناطق الساحلية من الجزيرة العربية من عرب اليمن وحضرموت وعمان والبحرين، فمخروا عباب البحار في الخليج العربي والمحيط الهندي كتجار يجلبون بضاعة الهند وشرق افريقيا الى اليمن ، ومن ثم ينقلها تجار مكة بواسطة القوافل البرية الى مكة ومنها الى بلاد الشام . وقد افادت قبيلة قريش (التي يدل اسمها على الاثر التجاري حسب بعض الروايات) من هذه التجارة كثيرا ، فاصبحت من اغنى القبائل كما واصبحت مكة محط انظار القبائل العربية لما تتمتع به من مكانة دينية وتجارية ، فكانت تعقد فيها الاسواق وتقام الندوات وبخاصة في الاشهر الحرم . وهكذا فمن الطبيعي ان يكون اهل الحواضر على علم ومعرفة بالبحر وثقافته ومعرفة بالسفن وانواعها والدليل على ذلك ان الشعر العربي يزخر بالكثير من الشواهد التي تدل على هذه المعرفة نطرفة بن الصبر يشبه الابل التي تحمل هودج حبيبته بالسفن العظام فيقول :

كأن هدوج المالكية غدوة
خلايا سفين بالنواصف من دَدِ
عدوليه او من سفين ابن يامن
يجوز بها الملاح طورا ويهتدي

يشق حباب الماء حيزومها بها
كما قسم الترب المغايل باليد(١)

وعمرو بن كلثوم التغلبي يفاخر بقوة قومه فيقول : ـ

ملأنا البر حتى ضاق عنا
وظهر البحر نملوه سفينا

وعلى الرغم مما في هذا البيت من مباهاة ومفاخرة اكثر من كونه حقيقة فانه يدل على معرفة العرب بالبحر وشؤونه بحيث اصبح يرد في اشعارهم وادبهم بكثرة . وتؤكد الحقيقة هذه ان كثير من السور القرآنية زخرت بعدد كبير من مفردات البحر والسفن والفلك ، كما وتدعو الى تأمل البحر وما فيه من العجائب والمخلوقات والافادة من منافعه وخيراته . ومع كل هذا فقد بقي العرب من سكان الجزيرة العربية البعيدين عن البحار متخوفين من ركوب البحر وهذا ما دفع ابن خلدون الى القول « ان العرب لبداوتهم لم يكونوا اول الامر مهرة في ثقافته وركوبه(٢) ان هذا النص ينطبق على البدو وسكان المناطق الصحراوية البعيدة عن البحار ، وهذا شيء طبيعي، فنحن لا نريد من اناس لم يروا البحر في حياتهم ان لا يتخوفوا منه ومن امواجه العاتية القاسية .

---

(١) يحيى بن علي التبريزي ـ شرح القصائد العشر ـ تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ـ القاهرة ـ ١٩٦٢ ص٧٩.
(٢) عبدالرحمن بن خلدون ـ المقدمة ـ مطابع الاوفسيت ـ مكتبة المثنى بغداد ـ ص٢٥٣ .

WWW.ATTAWEB.COM

على ان ظهور الاسلام وانطلاق العرب المسلمين في عملية فتوحات التحرير الاسلامية وامتدادهم الى مناطق بعيدة مطلة على البحار ، اصبحت الحاجة ضرورية لركوب البحر والجهاد عبر البلاد التي وراءه ، فظهرت المحاولات الاولى لانشاء بحرية عربية اسلامية في عهد عمر بن الخطاب على يد معاوية بن ابي سفيان وعجرفة بن هرثمة الاسدي سيد بجيلة والعلاء الحضرمي[٢] الا ان عمر بن الخطاب وقف بوجه هذه المحاولات مانعا اياها بشدة ناقش الكثيرون الاسباب التي كانت وراء منع عمر لقادته من الجهاد عبر البحار معتمدين على رواية ابن خلدون ويوردون وصف البحر من قبل عمرو بن العاص والي مصر في هذه الفترة عندما طلب منه الخليفة ذلك فكتب اليه يقول « ياامير المؤمنين : اني رايت البحر خلق عظيم يركبه خلق ضعيف ليس الا السماء والماء ، ان ركد احزن القلوب وان ثار ازاغ العقول ، يزداد اليقين فيه قلة والشك كثرة هم فيه كدود على عود ،ان مال غرق وان نجا برق »[٤]

لا ادري ما السبب الذي دفع عمرو بن العاص الى المبالغة بوصف البحر بهذه الصورة المخيفة وهو التاجر وقائد التمرس ، يقول المؤرخون بانه لا يسمح لمسلم بركوب البحر ابدا .. اكان عمر بن الخطاب بهذا الجهل الكبير بالبحر وطبيعته حتى ترتعد فرائصه من وصف عمرو بن العاص هذا ! . لا يعتقد ذلك، ولكن المعتقد والمرجح وهو مامعروف عن طبع عمر بن الخطاب وسياسته هو الحرص الشديد على ارواح المسلمين ، فكان يخشى من امتدادهم وانتشارهم في بلاد بعيدة عن مركز الخلافة ، فتنقطع السبل عنهم في بلاد الاعداء الذين كانوا اكثر دراية وتمرسا في شؤون البحر وثقافته، ومتدربين على ركوبه وخوض مياهه. على ان الحاجة وواقع الامور تفرض نفسها ، فلم تمض فترة قصيرة حتى اصبح لزاما على الدولة العربية الاسلامية بناء قوة بحرية في البحر المتوسط فهذا عهد عثمان بن عفان وضع الحجر الاساس لبناء البحرية العربية الاسلامية التي مالبثت ان نمت وتوسعت . اعتمد العرب في البداية على ابناء الامم المفتوحة بلادهم ممن كانت لهم الخبرة والمعرفة البحرية وبناء السفن والاساطيل، حيث كان هؤلاء يشكلون طاقم السفن وربابنتها ، ثم مالبثت ان ظهرت براعة العرب في تعلم اسرار الخبرة البحرية وخوض غمار المعارك على ظهور السفن ، مما اهلهم لكي يصبحوا سادة الجزء الكبير من البحر المتوسط ومنافس خطير للامبراطورية البيزنطية فيه، وبخاصة بعد انتصارهم في معركة ذات الصواري الشهيرة سنة ٣٤هـ والتي غيرت ميزان القوى لصالح العرب المسلمين لفترة طويلة ، يقول ابن خلدون « وكان المسلمون لعهد الدولة الاسلامية قد غلبوا على هذا البحر (المتوسط) من جميع جوانبه وعظمت صولتهم وسلطانهم فيه ، فلم يكن للامم قبل باساطيلهم بشيء من جوانبه ، وامتطوا ظهره للفتح سائر ايامهم »[٥] .

وتبعا للحاجة الى السفن والعدد البحرية انشا العرب المسلمون دورا للصناعة انتشرت على طول البلاد الاسلامية ، امتد الاساطيل بحاجتها من السفن والمراكب الحربية والتجارية على اختلاف انواعها واحجامها .

بداية نشوء البحرية العربية في الاندلس

نشأت البحرية العربية في الاندلس بعد ان قطعت البحرية العربية الاسلامية في المشرق شوطا كبيرا من التقدم والتطور ، فقد اقتضت طبيعة الاندلس الجغرافية الاهتمام ببناء اسطول بحري قوي يحمي شواطئها المترامية الاطراف . فالاندلس شبه جزيرة يدور بسواحلها البحر المتوسط (الشامي) من الجهتين الشرقية والجنوبية ، والمحيط الاطلسي (البحر المظلم) ومن الجهات الجنوبية الغربية والغربية والشمالية الغربية خليج بسكاي ، او بحر الانقليش كما يسميه العرب[٦] .

وموقع الاندلس البحري هذا جعلها عرضة للغزوات البحرية منذ القدم ، فكان انشاء اسطول بحري على درجة عالية من الكفاءة والمنعة امر ضروري ، فانتشرت لذلك دور صناعة السفن على طول السواحل وبخاصة السواحل الشرقية، منذ ايام القوط حكام شبه الجزيرة الايبرية قبل الفتح العربي الاسلامي .

---

(٢) يقول ابن خلدون عن عجرفة انه غزا عمان وحاول ولوج البحر الا ان عمر انكر عليه ذلك وعنفه . المقدمة ص٢٥٢ .

(٤) ابن خلدون ـ المقدمة ، ص٢٥٢ .
جرجي زيدان ـ تاريخ التمدن الاسلامي ـ مصر ـ ١٩٦٤ـ الطبعة الثانية ـ الجزء الاول ص١٩٤ .

(٥) ابن خلدون ـ المقدمة ـ ص٢٥٤ .

(٦) محمد بن عبدالله الحميري ـ صفة جزيرة الاندلس (الروض المعطار) تحقيق ليفي بروفنسال ـ القاهرة ١٩٣٧ ص٢ .

وعندما فكر العرب المسلمون بفتح شبه الجزيرة ، اهتموا ببناء السفن لهذا الغرض ، فمؤلف كتاب اخبار مجموعة يذكر ان الوليد بن عبد الملك امر موسى بن نصير ان يتريث ولايسرع في التقدم نحو الاندلس ، وان يأخذ للامر اهبته ، وامره كذلك باختبار وضع الاندلس العسكري ، وذلك بارسال السرايا الاستطلاعية ، فبعث موسى بن نصير تنفيذا لهذا الامر رجلا من موالبه يقال له طريف ، ويكنى بابي زرعة في ٤٠٠ راجل ومعهم ١٠٠ فارس، فساروا في اربعة مراكب حتى نزلوا بجزيرة الاندلس التي هي مركز المراكب ودور الصناعة القوطية ، والتي سميت بعدئذ بجزيرة طريف ،بعد ان نزل طريف فيها(٧) وبعد ان عاد طريف بالاخبار المشجعة عبر طارق بن زياد قائد موسى بن نصير على راس (٧) الاف من المسلمين بواسطة هذه السفن الاربع في بداية الفتح سنة ٩٢هـ/ ٧١١م . عسكر بهم في جزيرة طريف . تذكر بعض المراجع الحديثة ان هذه المراكب كانت تابعة ليوليان حاكم مدينة سبته ، الذي كان قد نقم على لذريق ملك القوط وعمل على مساعدة العرب المسلمين في الفتح في حين انه لا يرد في كتاب اخبار مجموعه انف الذكر ما يؤكد ان السفن كانت تابعة ليوليان حيث يقول « ان طارق عبر بسبعة الاف من المسلمين جلهم من البربر ليس فيهم عرب الا القليل فدخل في تلك الاربع سفن لا صناعة لهم غيرها(٨) اما المقري فقد ذكر نقلا عن ابن حيان بان يوليان كان مع الجيوش التي عبرت لنجدة طارق بعد عبوره الى الاندلس ولم يذكر ان السفن كانت تابعة له(٩) . فقد ارسل طارق بن زياد الى موسى بن نصير يخبره بان قد فتح الله الجزيرة لطريف واستولى عليها وانه قد زحف اليه ملك الاندلس بما لا طاقة له به ؛ وكان موسى منذ ان وجه طارقا الى الاندلس ، اخذ في عمل السفن حتى صارت معه سفن كثيرة فحمل اليه خمسة الاف فاصبح عند طارق في الاندلس من الجند (١٢) الفاً . وهذا يعني ان موسى بن نصير ربما قد انشأ دار صناعة لبناء السفن واستفاد من دور الصناعة التي كانت قائمة في شمال افريقية ولا سيما في كونس لايصال الجند المسلمين الى الاندلس دون الاعتماد على سفن الغير(١٠) ،

لم يكن اهتمام الولاة الذين حكموا الاندلس بعد موسى بن نصير بالقوة البحرية كبيرا وذلك لانشغالهم بفتح بقية انحاء شبه الجزيرة برا ، هذا من جهة وكثرة الخلافات والصراعات القائمة على اساس العصبية القبلية من جهة ثانية، الى ان دخلت الاندلس فترة الحكم الاموي المباشر بعد سقوط الدولة الاموية في المشرق وتاسيسها على يد عبد الرحمن الداخل (صقر قريش) الذي فر هاربا من وجه العباسيين ، وتمكن من العبور الى الاندلس والسيطرة على الحكم فيها بمقدرته وشجاعته الفائقة ومساعدة الظروف الداخلية في الاندلس ذاتها عمد عبدالرحمن الداخل بعد استتاب الامر له الى بناء اسطول قوي يكون حائلا دون تفكير العباسيين في محاولة السيطرة على الاندلس بعد فشل محاولتهم الاولى عندما قدموا المساعدة لعلاء بن حضيج وكذلك لمجابهة التحديات الكارولنجية «الرومانية المقدسة» التي تحالفت مع العباسيين من اجل النيل من الدولة الاموية في الاندلس .

اذلك عمد عبدالرحمن الداخل الى اعادة الحياة الى دور صناعة السفن القديمة وامر ببناء سفن حربية في مراسي طركونة وطرطوشة وقرطاجنة واشبيلية ومع هذا فقد بقيت البحرية الاندلسية محدودة القوة والاثر حيث لم تكن مشكلة بشكل رسمي الا بعد الغزو النورمندي الاول على الاندلس سنة٢٢٩هـ في عهد عبد الرحمن الاوسط(٢٠٦ — ٢٣٨هـ /٨٢٢ — ٨٥٢م) وربما يعود هذا الى انشغال امراء بني امية منذ قيام دولتهم بتثبيت سيادة اسرتهم في الاندلس وتخليصها من طمع الطامعين من الثوار والمنافسين المحليين من جهة ومجابهة الممالك الاسبانية المسيحية التي نشأت على انقاض مملكة القوط القديمة ، والتي بدأت تأخذ باسباب القوة وتعمل على تهديد العرب المسلمين في الجهة الجنوبية ، وكانت هذه المجابهة تتم على الاغلب بواسطة القوة البرية ، كما كان للعداء المشترك للدولة العباسية من قبل كل من الدولة الاموية في الاندلس والدولة البيزنطية في القسطنطينية ، والتي كانت لها السيادة على جزء من البحر المتوسط اثر في عدم الاهتمام الكافي بالقوة البحرية في البداية ، طالما ان خطر اكبر دولة بحرية وهي الدولة البيزنطية

(٧ و ٨)مؤلف مجهول ـ اخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر امرائها ـ مدريد ١٨٦٧ ص٦ .

(٩) احمد بن محمد المقري ـ نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ بيروت ١٩٤٩ ، الجزء الاول ـ ص٢١٦ .

(١٠) د. عبدالمنعم ماجد ـ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ـ بيروت ١٩٦٦ ص٣٦ .

مأمون الجانب . فقد توثقت علاقات الصداقة بين الطرفين وجرى تبادل المراسلات والسفارات الدبلوماسية واستمرت سياسة الصداقة والمودة هذهلفترة طويلة ؛ وكان يقابل هذه المودة عداء كل من الدولتين البيزنطية والاموية للدولة الرومانية المقدسة (الكارولنجية) في فرنسا التي ناصبت الامويون في الاندلس العداء وعملت على مساعدة الممالك الاسبانية الشمالية ؛ واتفقت مع الدولة العباسية في عدائها لكل من الامويين والبيزنطيين على ان البحرية العربية في الاندلس اتخذت خط نمو اخر نستطيع ان نعتبره النشوء غير الرسمي للبحرية الاندلسية على يد الجماعات المغامرة المجاهدة التي انشات لها المراسي والموانيء التي انطلقت منها الغارات البحرية الى جهات البحر المتوسط المختلفة لمهاجمة السواحل الاوربية وبخاصة المناطق التابعة للدولة الافرنجية ؛ كسواحل فرنسا وايطاليا ، واستمرت هذه الجماعات فيغاراتها البحرية المستقلة عنحكام قرطبة حتى بعد تاسيس البحرية الاندلسية بشكل رسمي حيث كانت تلقى هذه الجماعات الدعم من قبل امراء الدولة الاموية الذين استعانوا بخبرة هذه الجماعات عندانشاء الاساطيل الاموية واستخدموهم في قيادة الاساطيل وادارة شؤونها . يقول ابن القوطية « واستعد الامير عبد الرحمن بن الحكم، فامر باقامة دار صناعة باشبيلية ، وانشا المراكب؛ واستعد برجال البحر من سواحل الاندلس فالحقهم ووسع عليهم فاستعد بالالات والنفط »(١١) .

واشهر هذهالجماعات البحرية هم الذين يعرفون في المصادر العربية بالبحريين واصلهم من اليمن الذين اعتمد عليهم بنياميةعند قيامدولتهم فانزلوا بعض قبائلهم من بني سراج القضاعيين في المناطق الساحلية الشرقية في منطقة بجانه ، وجعلوا اليهم حراسة السواحل وسمي المكان الذي سكنوه (ارش اليمن)(١٢) اي اعطيات اهل اليمن من الارض والاقطاع وتمتعوا بمقابل حمايتهم لسواحلهم من جهة البحر باستغلال المنطقة المحيطة بوادي اندرش او وادي بجانه؛ لذلك اقاموا عند مصب وادي بجانه برجا للحراسة فوق المرتفع الذي تقع عليه قصبة المرية في الوقت الحاضر(١٣) ان مساهمة اهل اليمن في حماية سواحل الاندلس يدل على ما لاهل اليمن من خبرة بحرية قديمة اكتسبوها من كون بلادهم ذات موقع بحري مهم منذ القدم .

والى جانب هذه العناصر اليمنية ؛ اعتمد الامويون كذلك في حماية سواحلهم على جماعات بحرية من اهل اسبانيا ذاتها من المولدين والمستعربين ؛ الذين كانوا منتشرين على طول السواحل الشرقية وكانت لهم فيها مراسي ورباطات ودور صناعة ؛ وقد نزل جماعة من هؤلاء في مدينة بجانة بجوار العناصر اليمنية ، ثم تمكنوا من التغلب على شؤون المدينة؛ يقول الحميري ان بجانه كانت حارات متفرقة حتى نزلها البحريون وتغلبوا على ما كان فيها من العرب وصار الامر لهم ، فحصنوها وبنوا سورها وامتثلوا في ذلك ببنية قرطبة(١٤) فاصبحت مدينة بجانة منذ سنة ٢٧١هـ/٨٨٤م مدينة عظيمة أمها الناس وسكنوها لاستتاب الامن فيها ، وبخاصة في زمن امير البحريين عبد الرزاق بن يعيش الذي طلب من الامير عبدالله (٢٧٥ ـ ٣٠٠هـ / ٨٨٨ ـ ٩١٢م اقرار البحريين على المناطق المتواجدين فيها واباحتهم البنيان حول قصبتهم بجانة ؛ والتوسع في اعراضها لتكاثر الناس عندهم مقابل اعترافهم بسيادة الدولة عليهم وحمايتهم لسواحل الاندلس ؛ فوافق الامير على ماطلبوا ؛ توسعوا رفعة بلدهم بضم القرى والحصون المجاورة التي بلغ عددها عشرون حصنا مثل حصن الحامه وحصن الخابية وحصن برشانة وبني طارق وناشر وغيرها(١٥) . وكانهؤلاء البحريين يترددون بسفنهم في كل عام بين شواطيء المغرب والاندلس فيقضون فصل الشتاء في المغرب وفصل الصيف في الاندلس واسسوا لذلك مدن متعددة في المغرب العربي منها مدينة تنس التي بنيت في سنة ٢٦٢ هـ ومدينة وهران سنة ٢٩٠هـ(١٦) . وقد ادى ازدهار قاعدة بجانة البحرية وازدحام السكان فيها الى توجه الانظار اليها من قبل سكان المناطق المجاورة ؛ فابن حيان يذكر انه في سنة ٢٧٦هـ غزا سور بن حمدون المحاربي امير العرب بغرناطة من كورة البيره البحريين لما بلغه من حسن حالهم في بجانة واجتماع الناس

(١١) ابن القوطية القرطبي ـ تاريخ افتتاح الاندلس ـ تحقيق عبدالله انيس الطباع ـ بيروت ١٩٥٧ ص٥٨ .
(١٢) الحميري ـ المصدر السابق ص٢٧ .
(١٣) د . السيد عبد العزيز سالم ـ تاريخ مدينة المريه الاسلامية قاعدة اسطول الاندلس ـ بيروت ١٩٦٠ ص٢١.

(١٤) الحميري ـ المصدر السابق ص٢٧ .
(١٥) ابو مروان ـ بن حيان ـ المقتبس في تاريخ رجال الاندلس القسم الثالث ـ نشرة الاب ملشورم انطونيه ـ باريس ١٩٣٧ ـ ص٥٢ .
(١٦) ابو عبيد عبدالله بن عبد العزيز البكري ـ المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ـ مسحوب بالاوفسيت ـ مكتبة المثنى ـ بغداد ـ ص ٦١ و ص٧٠ .

اليهم واستخفافهم بمن جاورهم من العرب الفسانيين واستطالتهم عليهم ، وكان امير البحريين في هذه الفترة عبد الرزاق بن عيسى الذي احسن السيرة وضبط الامور في بجانه حتى ان المسافرين عندهم كانوا يضعون امتعتهم ورحالهم بالاسواق والشوارع مطروحة بلا حارس ، فلما علم عبد الرزاق بعزم سوار على غزو بجانه خشي العاقبة ، فعمل على مداراته ، فاخرج وجوه البحريين اصحابه الى العرب الفسانيين يطلبون السماح والشفاعة لدى سوار فوافق الفسانيون على ذلك وخرجت جماعة من الاثنين الى سوار وكلموه واستعطفوه حتى انصرف عنهم ، الا ان البحريين عادوا بعد مدة الى مضايقة العرب الفسانيين مما دفعهم الى الاستنجاد من جديد بخليفة سوار سعيد بن جودي (حيث كان سوار قد توفي عقب حصاره لمدينة بجانة مباشرة) عمد سعيد بن جودي الى محاصرة بجانة من جديد ، الا ان البحريين ثبتوا هذه المرة بوجه سعيد فلم يظفر منهم بطائل . وبينما هم على ذلك اذ جاء الى بجانة خطر جديد متمثلا بمهاجمة شنير قومس انبورش من بلد الافرنجة بقطلونية في خمسة عشر مركبا ارفات بساحل المرية فرضة بجاية واحرقت كثيرا من المراكب وانتشر الجند في الميناء يسلبون وينهبون ، خرج البحريون نحو المرية ليلا وهاجموا سفن الافرنجة فكانت عملية مباغتة لقائد الافرنجة الذي طلب الصلح من البحريين الذين وافقوا على الصلح على اساس المفاداة والمبايعة ، مما يدل على ان البحريين كانوا قد اسروا مجموعة من جنده ، وانصرف قائد الافرنج بعد ذلك ، فتفرغ البحريون بعد ذلك لمجابهة سعيد بن جودي ، الذي ظن بان مددا جديدا قد جاء لمساعدة البحريين ، فرحل عنهم مسرعا . وهكذا كان انصراف قائد الافرنج وابن جودي سببا في ارتفاع شان اهل بجانة فلم يتعرض لهم احد بعدها ، فعمرت حضارتهم واتسعت وحسنت حال من فيها ، فلحقت بكبار امصار الاندلس(١٧) كانت الغزوات التي يقوم بها البحريون تاخذ طابع الجهاد في سبيل نشر الاسلام وليست مقتصرة على طلب الغنيمة وحب القرصنة كما تصور ذلك المراجع الاوربية لهذا نلاحظ تعاون هؤلاء البحارة الاندلسيين مع الاغالبة في فتح جزيرة صقلية الايطالية سنة ٢١٤ هـ على الرغم من تبعية الاغالبة للدولة العباسية اسميا والتي كانت في حالة عداء مع الدولة الاموية في الاندلس ، حيث اشترك البحريون بقيادة اصبغ بن وكيل الهواري المعروف بفرغلوش باسطول مكون من ٢٠٠ سفينة في الاستيلاء على ميناء بالرمو وميناء ميناو ، بعد ان حاصر البيزنطيون الاغالبة في مدينة ميناو ، فقدم البحريون لفك الحصار بعد ان اتفقوا مع الاغالبة على ان تكون القيادة لفرغلوش(١٨) وفعلا تمكنوا من فك الحصار ودخلوا المدينة سنة ٢١٣هـ الا ان الخلاف دب بين الطرفين مما دفع قسم كبير من البحريين الى العودة الى الاندلس بعد سنة ٢١٥هـ(١٩) . كما قام مجموعة من هؤلاء البحارة الاندلسيين برئاسة ابي حفص عمر بن شعيب البلوطي المعروف بابن الفليظ ، من اهل قرية مطروح من عمل فحص البلوط المجاور لقرطبة في الاستيلاء على جزيرة كريت بعد سنة ٢٠٣ هـ(٢٠) واسسوا فيها امارة وابتنوا لهم عاصمة واحاطوها بخندق كبير ، حيث عرف المكان فيما بعد باسم الخندق Candi ـ كانديه) وتعرف المدينة حاليا باسم Herak Lion وكان استيلاء هؤلاء البحارة على جزيرة كريت عقب احداث الثورة الشهيرة ضد الحكم بن هشام (١٨٠هـ ـ ٢٠٦هـ) والتي تعرف بثورة الربض نسبة الى الضاحية التي انطلقت منها الثورة وهي الربض الجنوبي في قرطبة ، حيث عمت الثورة معظم انحاء قرطبة واصبح وضع الحكم بن هشام حرجا الا انه تمكن بشجاعته وشجاعته القضاء على هذه الثورة الخطيرة وامر بخروج من بقي من اهل الربض الجنوبي باجمعه وذلك خلال ثلاثة ايام وانه لا امان لديه لمن تخلف منهم ، فتفرق قسم منهم في انحاء الاندلس وبخاصة مدينة طليطلة التي كانت خارجة في هذه الفترة عن حكم الحكم . وعبر قسم منهم المضيق الى عدوة المغرب ، واستقروا بين قبائل البربر في جبال الريف شمال المغرب ، حيث اقاموا في مدينة فاس وعمروها ونقلوا معهم مظاهر الحضارة العمرانية الاندلسية ، فاعطوا المدينة طابعا اندلسيا سواء في صناعتها او في ابنيتها البيضاء ذات الحدائق الداخلية في احواشها بحيث اخذ يطلق على المدينة اسم عدوة الاندلسيين . على

(١٧) ابن حيان ـ المصدر السابق . ص٨٨ـ٨٩ .

(١٨) ابن عذاري المراكشي ـ البيان المغرب في اخبار المغرب بيروت ١٩٥٠ . الجزء الاول ص١٣٥ .

(١٩) د. السيد عبدالعزيز سالم و د. احمد مختار العبادي ـ تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس ـ بيروت ١٩٦٩ ـ ص١١٤ .

(٢٠) ابن حزم وابن سعيد والشقندي ـ فضائل الاندلس واهلها نشرها وقدم لها . د ـ صلاح الدين المنجد بيروت ـ ١٩٦٨ ـ ص٨ .

ان القسم الكبير من ثوار الربض وعددهم (١٥) الفا (٢١) اتجهوا بواسطة السفن الى الاسكندرية في مصر واستولوا عليها بمعاونة اعراب البحيرة وكان هذا في فترة الاضطرابات التي شملت الدولة العباسية (النزاع بين الامين والمامون) واقاموا فيها امارة اندلسية مستقلة دامت ما يقارب (١٠) سنوات الى ان قدم عبد الله بن طاهر قائد المامون الى مصر اميرا عليها سنة ٢١٢هـ فسار الى الاسكندرية وحاصرها واجبر الاندلسيون الى طلب الصلح ومغادرة مصر وعدم النزول في اية ارض تابعة للدولة العباسية ؛ فاتجهوا الى جزيرة قريطش (كريت) التي كانت تابعة للدولة البيزنطية المعادية للعباسيين ؛ فاستولوا عليها واقاموا فيها امارة استمرت الى سنة ٣٥٠هـ حيث تمكن البيزنطيون في زمن الامبراطور ارمانوس من الاستيلاء عليها واعادتها لسيطرة الامبراطورية البيزنطية(٢٢) يشير الدكتور السيد عبد العزيز سالم الى ان الذين سيطروا على جزيرة كريت هم البحارة الاندلسيين سكان السواحل الشرقية لا ان الربض الذين كان اغلبهم من الزراع والصناع حيث كان البحارة الاندلسيون غزاة يتنقلون ما بين الاندلس صيفا وسواحل المغرب العربي شتاء وانهم اي « البحريون » استغلوا فترة الفوضى في مصر وسيطروا على الاسكندرية ؛ ثم اضطرهم عبد الله بن طاهر الى الخروج من الاسكندرية والتوجه الى جزيرة كريت والسيطرة عليها ؛ وان ثوار الربض قد تفرقوا في المدن الاندلسية وان نفيهم من قبل الحكم كان من قرطبة فقط(٢٣) على انه سيأتي خذ على رأي الدكتور السيد عبد العزيز سالم في تواتر الرواية التي تشير ان ثوار الربض هم الذين سيطروا على جزيرة كريت في معظم المصادر العربية المعتمدة ثم ان قسم كبير من ثوار الربض عبروا الى المغرب العربي وسكنوا في مدينة فاس كما اشرنا ؛ ونستطيع ان نقول ان البحريين تعاونوا مع ثوار الربض الذين كانوا من المقاتلين المهرة وتمكنوا من الاستيلاء على جزيرة كريت .

واستمرت الغزوات البحرية طيلة فترة الدولة الاموية في الاندلس من قبل هذه الجماعات المغامرة سواء ممن كانوا يسكنون بجانه او غيرها من مناطق

(٢١) ابن القوطية ـ المصدر السابق ـ ص٧٢ .
(٢٢) ابن حزم ـ المصدر السابق ص٨ .
(٢٣) د . السيد عبدالعزيز سالم ـ تاريخ البحرية ص٧٥ لمزيد من التفاصيل عن ثورة الربض . يراجع . محمد عبدالعزيز عقيلان ثورة الربض ثورة شعبية من تاريخ الاندلس . مجلة افاق عربية العدد ٣ ـ تشرين الثاني ـ ١٩٧٨ ص٧٩ وما بعدها .

السواحل الاندلسية ، فمثلا في سنة ٩١ هـ /٨٠٦م غزت جماعة بحرية جزيرة كورسيكا ثم بعد عامين تكررت المغاولة على جزيرة كورسيكا وجزيرة تكررت المحاولة على جزيرة كورسيكا وجزيرة سردينيا ثم توالت غزواتهم بعد ذلك ، ففي سنة ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م خرج اسطول اسلامي من ثغر طركونه الاندلسي متجها الى مياه فرنسا الجنوبية وهاجم ثغر مرسيليا ؛ وفي سنة ٢٣٤ هـ /٨٤٠ م اضطربت احوال مملكة الافرنج على عهد لويس التقي بن شارلمان فانتهز البحارة الاندلسيون هذه الفرصة وشنوا حملاتهم على ولاية البروفانس عند مصب نهر الرون وهاجموا مدينة (ارل) واقتحموها . وقد استمرت غزوات العرب المسلمين على الواني الفرنسية والايطالية في عهد عبد الرحمن بن الحكم (الاوسط) ٢٠٦ ـ ٢٣٨هـ وانشأ هؤلاء البحارة المجاهدين القلاع والحصون لاتخاذها كقواعد للاغارة على المناطق المجاورة ؛ حيث كانوا يستخدمون اسلوب الكر والفر في الاغارة على هذه المناطق فينطلقون من قلاعهم ثم يعودون اليها متى تعرضوا للخطر . وتتركز حصون العرب وقواعدهم على سواحل فرنسا وخاصة في جزيرة كامرج عند مصب نهر الرون ؛ على ان اهم قاعدة اسلامية انشأها العرب المسلمون هي حصن (فراكسنيتم Fraxinetum) او جبل القلال » كما يسميه المسلمون ؛ ذلك انه في سنة ٨٩٠م تمكنت مجموعة اندلسية مغامرة لم يزد عددها عن العشرين بحاراً من تاسيس قاعدة اوحصن على ساحل البروفانس مكان القرية الحاضرة التي يقال لها الان (غارد ـ فرنسة) وتمكن هؤلاء مع من انضم اليهم من الاندلس وشمال افريقيا من شن غارات شملت اقليم البروفانس وحوض الرون الادنى ؛ واستمرت هذه الغزوات فترة طويلة تزيد على الثمانين عاما من هذه القاعدة والقواعد الاسلامية الاخرى الى ان اخرجوا من قاعدتهم في فراكسنيتم عام ٩٧٥م(٢٤) .

التأسيس الرسمي للبحرية العربية في الاندلس

الغزو النورماندي (الفايكنج) وأثره في تأسيس وتطور البحرية الحربية في الاندلس

تعتبر الغزوات النورماندية على السواحل

(٢٤) محمد عبد العزيز عثمان ـ الحملات الاندلسية على فرنسا وايطاليا وسويسرة وجزر البحر المتوسط ـ مجلة افاق عربية ـ العدد التاسع . ايار ١٩٧٩ ص٧٨ وما بعدها .

الغربية للاندلس والتي ابتدات في عهد الامير عبد الرحمن الاوسط المحفز الرئيس للتكوين الرسمي للبحرية الاندلسية ، فقد كانت قبل عام ٢٢٩هـ /٨٤٤م وهو تاريخ اول غارة نورماندية تمثل جهود جماعات مغامرة تلقى الدعم غير المباشر من الدولة الاموية لحماية سواحل الاندلس ، حيث انصرف الامويون في البداية الى تقوية الجيش البري لاستكمال السيطرة على شبه الجزيرة الايبيرية ومجابهة الممالك الاسبانية الشمالية التي باتت تشكل نواةخطر حقيقي علىالدولة العربيةالاسلامية في اسبانيا الجنوبية .

والنورمانديون او الفايكنج «Vikingos» هم سكان المناطق الشمالية من اوربا وموطنهم الاصلي شبه الجزيرة الاسكندنافية وكانوا شعبا شرسا غير متحضر ، وبسبب قسوة المناخ وجدب الارض في بلادهم وان الزراعة وتربية الماشية صعبة وعسيرة اتجهوا الى البحر طلبا للرزق ؛ لذا اصبحوا ملاحين مهرة ذوي براعة فائقة في جوب البحار على متن ظهور سفنهم الطويلة ذات الاشرعة السوداء والمجاذيف الخفيفة . وفي بداية القرن التاسع الميلادي بدات غزواتهم باتجاه الجنوب نحو السواحل والشواطيء الاوربية ، فكانو يهبطون الى مدن السواحل فيقتلون الناس وينهبون ويسلبون ما تقع عليه ايديهم ثم يعودون الى سفنهم محملين بالغنائم . وقد وصلت غاراتهم الى روسيا والى جزيرة ايسلنده ومنها اتجهوا الى جزيرة جرينلند واحدثت هجماتهم في كل من انكلترة وفرنسا اضرارا فادحة وقد استقروا في المنطقة الشمالية من فرنسا التي حملت اسمهم « منطقة نورماندي » واتصلوا بالحضارة الفرنسية وتحولوا الى المسيحية واستبدلوا بلغتهم الاسكندنافية لغةالاقاليم الشمالية من فرنسا . ومن هذه المنطقة اتجهوا الى بريطانيا بقيادة وليم الفاتح دوق نورمانديا سنة ١٠٦٦م وسيطروا عليها وتوج وليم الفاتح نفسه ملكا على الجزر البريطانية في السنة ذاتها .

والنورمان الدانماركيون هم الذين هاجموا الاندلس لاول مرة سنة ٢٢٩هـ/٨٤٣م ، ويطلق المؤرخون المسلمون على النورمانديين تسمية المجوس الاردماتيون ، بسبب ان النورمانديين كانوا وثنيين قبل اعتناقهم المسيحية فكانوا يوقدون النار في كل مكان يحلون فيه ، بل انهم كانوا يحرقون جثث الموتى من زعمائهم بسفنهم(٢٥) فظن العرب بان هؤلاء من المجوس عبدة النار « الزرادشتيون » كانت الغارة الاولى على الاندلس في عهد عبد الرحمن الاوسط كما ذكرنا ، حيث كانوا قد بداوا هجومهم على سواحل اسبانيا الشمالية على الاقليم الذي يعرف باسم جليقية ولكن الملك رومير الاول ملك مملكة ليون تمكن من ردهم(٢٦) فاتجهوا الى سواحل الاندلس الغربية والجنوبية فياواخر سنة ٢٢٩هـ في اربع وخمسين مركبا ومعها اربع وخمسون قاربا(٢٧) فنزلو في ثغر اشبونة(لشبونةعاصمةالبرتغال الحالية) فكتب عامل المدينة وهب الله بن حزم الى الامير عبد الرحمن الاوسط ينبئه بالخطر « انه قد حل بالساحل قبله اربع وخمسون مركبا المجوس ومعهم اربع وخمسين قاربا »(٢٨) فكتب اليه الامير عبدالرحمن ان يأخذ للامر اهبته ويحتاط ؛ وقد تمكن الوالي وهب الله بن حزم من الحد من هجماتهم فعلا(٢٩) مما اضطرهم الى الاتجاه جنوبا الى مدينة قادش ثم مدينة شذونة ثم اتجهوا بسفنهم نحو نهر الوادي الكبير الى مدينة اشبيلية وذلك في ١٢ محرم سنة ٢٣٠هـ/ ٨٤٣م وكان عدد مراكبهم نحو من ثمانين مركبا هذه المرة يصفها ابن عذاري بقوله كانما ملأت البحر طيرا جونا كما ملأت القلوب شجوا وشجونا »(٣٠) اي انها تشبه الطيور السوداء في السماء لسواد اشرعتها وعند مدخل الوادي الكبير تمكنوا من السيطرة على جزيرة صغيرة يقال لها جزيرة (قبطيل) وكانت مليئة بالخيول والماشية، فقتلوا اهلها واستولوا على كل ما فيها واتخذوها قاعدة لهم لكي تحمي ظهورهم في حالة الانسحاب بعد الهجوم ، ثم تقدموا نحو اشبيلية التي كانت غير مسورة ، فتصدت لهم بعض السفن ؛ لكن النورمانديين استقبلوها بوابل من الاسهم النارية

---

(٢٥) د. احمد مختار العبادي ـ في التاريخ العباسي والاندلسي بيروت ١٩٧١ ـ ص٣٤٨ .

(٢٦) محمد عبدالله عنان ـ دولة الاسلام في الاندلس ـ مجلد واحد في جزئين ـ القاهرة ١٩٦٠ ـ ص٢٥٩ .

(٢٧)و(٢٨) ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ الجزء الثاني (أخبار الاندلس) ص١٢٩ .

(٢٩) ابن خلدون ـ تاريخ ابن خلدون (العبر) المجلد الرابع بيروت ١٩٥٨ ـ ص٢٨١ .

(٣٠) ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ الجزء الثاني ـ ص١٢٠.

فاشتعلت النيران فيها وغرقت(٢١) ثم واصلوا تقدمهم ودخلوا المدينة واعملوا في اهلها القتل مدة سبعة ايام متتالية(٢٢) مما ادى الى فرار من استطاع النجاة بنفسه من اهل اشبيلية الى الجبال المجاورة والى مدينة قرمونة(٢٣)ثم انسحب النورمان بسفنهم بعد ذلك الى جزيرة قبطيل لكي يضعوا فيها ماغنموه، ورجعوا الى المدينة ثانية فوجدوها خالية من الناس ماعدا بعض الشيوخ الذين تجمعوا في احد مساجد المدينة ليحتموا به فقتلوهم عن آخرهم ؛ ولذا سمي هذا المسجد باسم مسجد الشهداء(٢٤) وحاول النورمانديون الاتجاه بعد ذلك شمالا في نهر الوادي الكبير نحو قرطبة العاصمة ، الا انهم لم يتمكنوا من ذلك لصعوبة الملاحة في هذا الجزء من النهر لشدة التيار ، ولهذا استخدموا الخيول التي غنموها في مهاجمة المناطق المجاورة لمدينة اشبيلية.

في هذا الظرف ولمواجهة الخطر المحدق بالاندلس دعا الامير عبد الرحمن الاوسط الى الجهاد (تحشيد الجيوش فارسل على عجل فرقة من الفرسان يقودها عبدالله بن كليب ومحمد بن رستم ؛ وجعل على قيادة قوات قرطبة عيسى بن شهيد كما استنجد بقوات الثغر الاعلى المتمرسة على القتال ضد الممالك المسيحية في الشمال وكانت بقيادة موسى بن موسى بن قسي، فتقدم في جيش كثيف كما يقول ابن قوطيه(٢٥) وقد وضع ابن قسي بالتعاون مع القواد الاخرين خطة لاستدراج النورمانديين ووضعهم في كمين وتطويقهم ، ذلك ان النورمانديين كانوا يخرجون يوميا من اشبيلية على شكل سرايا صغيرة يغيرون على المناطق المجاورة باتجاه مدينة قرطبة ومدينة مورور ؛ فخرج ابن قسي بجيشه ليلا الى قرية خارج اشبيلية يقال لها (كنتش ـ معافر) وكمن فيها ثم اخفى احد جنوده في اعلى برج كنيسة القرية ، الذي وضع على راسه حزمة من الحطب حتى لايكتشف وجوده من قبل السرايا النورماندية ، فلما خرجت السرايا النورماندية في الصباح تريد مدينة مورور ، اشار الحارس للقوات الكامنة بخروج النورمان ، فلما ابتعدوا قليلا خرج اليهم الجيش وقطع بينهم وبين طريق العودة الى مدينة اشبيلية وحمل بالسيف على جميعهم هذا في الوقت الذي سار فيه جيش اخر نحو اشبيلية لانقاذ المدينة وفك اسر عاملها المحتجز فيها(٢٦) وحاول النورمانديون الانسحاب من اشبيلية نحو سفنهم يريدون الخروج بها الى عرض المحيط الاطلسي ، غير ان الجيوش الاندلسية اقتفت اثرهم وبدات بضرب سفنهم بالمجانيق المنصوبة على ضفتي النهر مما اضطر النورمان الى النزول من سفنهم الى البر لمجابهة الجيوش الاندلسية ، ودارت المعركة الحاسمة قرب اشبيلية في قرية طلياطة في ٢٥ صفر سنة ٢٣٠ هـ / انتهت بهزيمة النورمانديين ومقتل عدد كبير منهم ، وعلى اثر هذه الهزيمة تراجع من بقي منهم الى الجنوب باتجاه جزيرة قبطيل ، وكانت الجيوش الاسلامية ترميهم اثناء ذلك بوابل من الحجارة والاوظاف (مخلفات عظام البعير) ولما راوا الخطر المحدق بهم طلبوا الصلح واطلقوا الاسرى المسلمين عندهم « ولم يأخذوا فدائهم ذهبا ولا فضة وانما اخذوا الثياب والماكول(٢٧) ووقع عدد كبير منهم ممن لم يستطع اللحاق بالسفن اسرى بايدي المسلمين وقد اقام هؤلاء بصفة دائمة في الاندلس ، واعتنقوا الاسلام واشتغلوا بتربية الماشية وصناعة الالبان ، وكونوا طبقة من المولدين من ذوي الاصل النورماندي . لقد استمر غزو النورمان لبلاد الاندلس منذ دخولهم مدينة اشبيلية وحتى خروجهم منها مدة اثنين واربعين يوما(٢٨) وقد عمد النورمانديون اثناء انسحابهم من ثغور الاندلس الى مهاجمة مدينة لبله

---

(٢١) د. احمد ابراهيم الشمراوي ـ الامويون امراء الاندلس الاول ـ القاهرة ١٩٦٩ ص٢٢٠ .

(٢٢) ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ الجزء الثاني ـ ص١٢٠

(٢٣) ابن القوطية ـ المصدر السابق ـ ص٨٤ .

(٢٤) د . السيد عبدالعزيز سالم ـ تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس بيروت ١٩٦٢ ـ ص٢٢٦ .

(٢٥) ابن القوطية ـ المصدر السابق ص٨٥ .

(٢٦) ابن القوطية ـ المصدر السابق ص٨٥ ـ ٨٦ .

د . ابراهيم خليل السامرائي ـ الثغر الاعلى الاندلسي ـ بغداد ١٩٧٦ ـ ص٢٧٥ .

(٢٧) و (٢٨) ابن عذاري ـ المصدر السابق الجزء الثاني ص١٢١.

وباجة ثم ثغر اشبونه (لشبونة) ثم غادرو مياه الاندلس نهائيا مع باقي سفنهم في غزوتهم الاولى هذه(٣٩) .

تركت الغزوة التي قام بها النورمانديون على ثغور ومدن الاندلس اثرا كبيرا في نفوس اهل الاندلس لما بثته من رعب وخوف وقلق مما دفع الامير عبد الرحمن الاوسط الى اخذ الاهبة والاستعداد لصد اي هجوم مقبل من جهة البحر ، فأمر ببناء سور اشبيلية لحمايتها ، وعمل على وضع نقط الحراسة على طول الساحل الغربي من الاندلس عرفت بالرُبط يقيم فيها المتطوعون للدفاع عن الثغور مزودين بوسائل الدفاع العسكري . وتكون الحراسة فيها من مناطق عالية اشبه بالفنارات تعرف باسم الطلائع او المناور ملحقة بالرُبط تكشف عن سفن العدو من بعيد ويقيم في هذه الفنارات الحراس الليليون المعروفون باسم السُحّار فان شهدوا سفنا قادمة من بعيد اشعلوا النار على قمم المناور ليلا او اثاروا منها الدخان ان كان الوقت نهارا وكثيرا مايستعمل الحراس الاشارات النارية او الدخانية بطرق او حركات معينة للاخبار عن حالة العدو او عدد السفن او جنسية الاعداء او غير ذلك(٤٠) كما امر الامير عبد الرحمن ببناء دار لصناعة السفن في اشبيلية وزودها برجال البحر المدربين وبالات وقوارير النفط لاستعمالها في الدفاع(٤١) كما انشأ دارا لصناعة الاسلحة اللازمة للسفن في مدينة قرمونه(٤٢) وكان من اثر ذلك ان اصبح للاندلس اسطول ضخم يضم عددا كبيرا من السفن الحربية (الغزواتيه) يقدر عددها بما يزيد على ٣٠٠ سفينة ، اذا اخذنا برواية ابن حيان وابن الخطيب عند ذكرهما غزو الاسطول في زمن عبدالرحمن الاوسط لجزيرتي ميورقة ومنورقة « وفيها (اي في سنة ٢٣٤هـ) اغزا الامير عبدالرحمن اسطولا من ٣٠٠ مركب الى اهل جزيرتي ميورقة ومنورقة لنقضهم العهد واضرارهم بمن يمر اليهم من مراكب المسلمين ، ففتح الله للمسلمين عليهم واظفر بهم »(٤٣) مما دفع سكان هذه الجزر الى طلب الصلح والدخول في طاعة الدولة الاموية .

وهذا يؤكد ان النفوذ العربي الاسلامي قد وصل الى جزر البليار التي كانت تابعة للدولة الكارولنجية ، وان سكان هذه الجزر راوا انه من الاسلم لهم مهادنة الدولة القوية والدخول في ظل سيادتها .

وهكذا نرى ان اغارات النورمانديه كانت بداية عهد جديد بالنسبة للبحرية الاندلسية التي اصبحت من القوة بحيث استطاعت ولفترة طويلة من الهيمنة على حياة غرب المتوسط(٤٤) على ان النورمانديين قاموا بهجمات اخرى على الاندلس بعد عهد الامير عبد الرحمن الاوسط (على الرغم انهم في عهده سعوا الى طلب الصلح وتبادلوا السفارات الدبلوماسية مع حكومة قرطبة) الا ان هجماتهم هذه لم تستطيع ان تحقق اهدافها بسبب الاستعداد الذي اتخذ من قبل الامير عبد الرحمن الاوسط ومن جاء بعده بحيث يصف ابن عذاري الاستعدادات البحرية في عهد الامير محمد بن عبدالرحمن الاوسط عند حديثه عن غارات النورمانديين في سنة ٢٤٥هـ فيقول « وجدوا البحر محروسا ومراكب المسلمين معدة تجري من حائط الافرنجة الى حائط جليقية في الغرب الاقصى (يقصد غرب الاندلس)(٤٥) .

عصر ازدهار البحرية العربية الاندلسية في عهد الخليفة الناصر

تولى الامير عبد الرحمن بن محمد الذي اصبح الخليفة الناصر لدين الله امارة الاندلس سنة

---

(٣٩) احمد بن عمر بن انس ـ تحقيق د . عبد العزيز الاهواني مدريد ١٩٦٥ ـ ص١٠٠ .
(٤٠) د . العبادي ـ في التاريخ العباسي والاندلسي ـ ص٣٥١.
(٤١) ابن القوطية ـ المصدر السابق ـ ص٨٨ .
(٤٢) الحميري ـ المصدر السابق ـ ص١٥٩ .

(٤٣) ابن حيان ـ المقتبس من انباء اهل الاندلس ـ تحقيق د . محمود علي مكي ـ القاهرة ـ ١٩٧١ ص١٤٤ .
لسان الدين ابن الخطيب ـ أعمال الاعلام ـ تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال ـ الطبعة الثانية ـ بيروت ١٩٥٦ـص١٨ وكذلك ابن عذاري ـ المصدر السابق ص١٣٢ .
(٤٤) د . السيد عبد العزيز سالم . ود . العبادي . ـ تاريخ البحرية ـ ص١٦٧ .
(٤٥) ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ الجزء الثاني ص٢٣٧ .

٣٠٠هـ وكانت البلاد قد مزقتها الفتن وعمتها الثورات من الداخل واحاطت بها الاخطار الخارجية من كل جانب يصفها ابن عذاري بقوله « وكان الخلاف قد عم اقطار الاندلس وطبق القاصي والداني منها ، واستولى اهل النفاق على كورها ومعاقلها »(٤٦) لكن الامير الشاب تمكن من اثبات كفاءة نادرة المثال وعزم لايلين في التصدي للتحديات التي جابهت الدولة وبخاصة تمكنه من التخلص من اكبر واعقد مشكلة تهدد وحدة الاندلس الاوهي ثورة عمر بن حفصون المتمرد الذي تمرس على روح العصيان وعدم الخضوع لسيادة قرطبة منذ ايام الامير محمد بن عبدالرحمن الاوسط وتحصن في قلعة بربشتر وسيطر على ما جاورها من المناطق مستمينا بمنعة المناطق التي يتحصن فيها ؛ ومايقدم له من مساعدات خارجية من قبل اعداء الدولة المتمثلين بالدولة الفاطمية في المغرب العربي او دول الشمال الاسباني .

هذه التحديات جعلت الناصر يعكف على اعداد جيش قوي مجهز بالاسلحة والذخائر ومن ثم توجيه عناية خاصة بانشاء اسطول قوي لمجابهة الاعداء والاستعداد للمتغيرات التي شملت ميزات القوى البحرية في البحر المتوسط بظهور قوة الفاطميين البحرية ؛لذلك نشطت في عهد الناصر صناعة المراكب والسفن على طول المرافيء والثغور الاندلسية مثل طرطوشة والجزيرة الخضراء ومالقة ولقنت وشلب، وقصر ابي دانس ودانيه ، واستخدمت لذلك اخشاب الصنوبر التي تنبت اشجارها في المناطق الشمالية . على ان اهم المرافيء التي انشئت في عهد عبدالرحمن الناصر هي مرفا المرية (ماخوذ من الرؤية) التي امر ببنائها سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م فاصبحت قاعدة لاضخم اسطول اندلسي ودارا لصناعة السفن كما ابتنى فيها الكثير من المنشآت العمرانية ، فاتخذت في عهده طابع المدن واحتلت بذلك المكانه المهمة التي كانت لمدينة بجانة التي تبعد عنها حوالي (٤) اميال يصف ياقوت الحموي مدينة المرية بقوله انها وبجانة بابي الشرق» منها يركب التجار وفيها مرسى للسفن والمراكب وفيها يكون ترتيب الاسطول الذي للمسلمين ومنها يخرج الى غزو الافرنج(٤٧) .. لقد بلغت عدد مراكب الاسطول الاندلسي في ايام الناصر حسب رواية ابن خلدون (٢٠٠ مركب)ويقول ابن الخطيب ان عدد المراكب التي كانت في عهد الناصر في مدينة المريه وحدها ٣٠٠ مركب اشرف على امورها ابنه الحكم في بداية حكمه وجدد اسطولها . وان الاسطول بلغ في عهد الحكم المستنصر ٦٠٠ قطعةبحرية(٤٨)وعلى هذا يكونعدد سفنالاسطول الاندلسي فيعهد الناصر اكبر بكثير مما ذكره ابن الخطيب بالنسبة لمدينة المرية نستنتج هذا من ذكر ابن حيان وابن الخطيب عن ان غزو جزيرتي ميورقة ومنورقةفيعهد عبدالرحمن الاوسط قد تم باسطول مكون من (٣٠٠ مركب)(٤٩) فكيف الحال وقد توسع الاسطول في عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر وتعددت المراسي ودور الصناعة بحيث اصبح الاسطول الاندلسي من اقوى الاساطيل البحرية في البحر المتوسط .

دور البحرية الاندلسية فى الصراع الخارجي للدولة الاموية فى عهد الناصر مع الدول المجاورة

١ ـ دور البحرية الاندلسية في الصراع مع الفاطميين

كان تنافس الفاطميون مع الامويين تنافساً سياسياً وعقائدياً في نفس الوقت ، فمنذ ان ظهرت الدعوة الفاطمية في تونس وتحولت الى ممارسة سياسية تمثلت بتاسيس الدولة الفاطمية في المغرب العربي ، اتجهت بانظارها الى الجهة المقابلة لمضيق جبل طارق حيث حاول الفاطميون في البداية التغلغل الى الاندلس بواسطة بث الدعاة على هيئة تجار او علماء او رحالة ، كما هو الحال مع ابن حوقل ومن ثم بدأوا بالتحرش بالاندلس والتدخل في شؤونها عن طريق مساعدة بعض الثائرين ، كما هو الحال

(٤٧) ياقوت الحموي ـ معجم البلدان ـ القاهرة ١٩٠٦ـ الجزء الثامن ص٤٢ ـ ٤٣ .

(٤٨) ابن خلدون ـ المقدمة ص٢٥٢ . ابن الخطيب ـ الاطاحه في اخبار غرناطة ـ تحقيق ، محمد عبدالله عنان ـ المجلد الاول ـ القاهرة ١٩٥٥ ـ ص٤٨٧ . د .السيد عبد العزيز سالم . تاريخ مدينة المرية ص٤٢ .

(٤٩) ابن الخطيب ـ اعمال الاعلام ـ ص١٨ .

في مساعدتهم للثائر ابن حفصون ففي سنة ٣٠١ هـ عمدوا الى ارسال مجموعة من المراكب البحرية لامداده بالمؤن لكن الاندلسيون تمكنوا من احراقها باجمعها(٥٠) ويعتقد بان الفاطميين عقدوا مع ابن حفصون حلفا في هذه السنة اي سنة٣٠١هـ/٩٠٩م من اجل مد نفوذهم الى الاندلس يقول ابن خلدون « وبعث ابن حفصون بطاعته للشيعة عندما تغلبوا على القيروان من يد الاغالبة واظهر دعوة عبيدالله(٥١). لقد نبهت هذه المحاولة الامويون في الاندلس الى مجابهة هذا الخطر الجديد القادم من شمال افريقية . فعمل عبد الرحمن الناصر على تحصين الثغور المواجهة لعدوة المغرب وتقوية الاسطول واعداده للدفاع عن المرافيء الجنوبية من الاندلس وذهب بنفسه في سنة ٣٠٢هـ/٩١٠ الى جزيرة طريف والجزيرة والخضراء التي ابتنى فيها دارا لصناعة السفن ليشرف بنفسه بشكل مباشر على الاعمال الدفاعية ، لان مرسى الجزيرة الخضراء ايسر المراسي واقربها الى العدوة وبهذا منع ابن حفصون من الاتصال بالبحر او ان يكون له منفذا بحريا يستطيع ان يتحرك من خلاله . وبهذا تمكن عبدالرحمن من ان يوجه جهوده لهذا المتمرد الذي اقلق راحته وتمكن من القضاء على حركته نهائيا سنة ٣١٥هـ حيث ان ابن حفصون توفي سنة٣٠٥ وخلفه ابنه سليمان الذي قتل سنة ٣١٤ هـ قريبا من حصن بربشتر الذي سيطرت عليه القوات الاندلسية والقي القبض على حفص بن عمر بن حفصون(٥٢) ولكي يفوت الناصر الفرصة على الفاطميين في شؤون الاندلس ويأخذ زمام المبادرة ، ويثبت لهم انه قادر على مجابهتهم ومهاجمتهم في عقر دارهم بدا يعد العدة للسيطرة على بعض المناطق المهمة في الجهة الثانية من المضيق لجعلها قاعدة امامية في مهاجمة الفاطميين ، ففي سنة ٣١٤هـ/٩٢٧م سيطر على طنجة ومليلة ، ثم سيطر على مدينة سبتة سنة ٣١٧ هـ واتخذها قاعدة رئيسية لجنده في المغرب العربي ، فحصنها وبنى سورها ، ووضع فيها خيرة قواده ، ويشير ابن عذاري الى ان السيطرة على المدينة تمت سنة ٣١٩هـ/٩٣١م وبنى سورها والزم من رضيه من قواده واجناده وصارت مفتاحا للعدوة من الاندلس وبابا اليها كما هي الجزيرة الخضراء وجزيرة طريف مفتاح الاندلس من العدوة وقامت الخطبة فيها باسم امير المؤمنين(٥٣) وعمل الناصر على استمالة بعض حكام المناطق التابعة للدولة الفاطمية ، فدخل في طاعة الدولة الاموية بعض حكام الولايات من البربر . وعمد الناصر الى ارسال الاساطيل الحربية لمساعدة هؤلاء الحكام ضد منافسيهم . لقد ادى هذا الصراع والمنافسة على فرض السيادة على المغرب العربي بين الامويين والفاطميين الى حدوث اشتباك مسلح مباشر بينهما وذلك في سنة ٣٤٤ ، حيث تعرض مركب يحمل رسولا من الحسين بن علي امير صقلية الى المعز لدين الله الفاطمي الى الهجوم من قبل بحارة مركب تجاري كبير كان الناصر قد امر ببنائه في مدينة المرية لحمل التجارة الاندلسية الى بلاد المشرق ، وقد استولى البحارة الاندلسيون على مافي المركب ، بما فيها الكتب المرسلة من الحسين الى المعزلدين الله الفاطمي ، والتي يعتقد بانها كانت تتعلق بتنسيق الجهود ضد الدولة الاموية ، مما دفع قائد المركب الاندلسي الى مهاجمة المركب الصقلي(٥٤) وكرد فعل انتقامي عمد المعزلدين الله الفاطمي الى توجيه حملة بحرية لمهاجمة مدينة المرية واحرقوا السفن الراسية في الميناء واستولوا على نفس المركب الاندلسي الكبير الذي هاجم المركب الفاطمي ، بما فيه من امتعة بعد ان عاد من الاسكندرية . لقد كانت هذه العملية اشبه بمحاولة دفاع عن النفس اكثر مما هي حالة هجوم ، لشعور الفاطميين بعدم مقدرتهم بمجابهة قوة الاسلة الاموية . كان رد الناصر على هذا الهجوم عنيفا وشديداً . فقد وجه في السنة التالية ٣٤٥هـ والسنتين التي تلتها عدة هجمات متتالية على قواعد الفاطميين في المغرب العربي تمكن بواسطتها من السيطرة على الجهة المقابلة للاندلس لفترة طويلة اشعرت الفاطميين ان

(٥٠) ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ص٢٤٧ .
(٥١) ابن خلدون ـ تاريخ ابن خلدون ـ المجلد الرابع ص٢٩٢ .
(٥٢) ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ الجزء الثاني ـ ص٢٨٧ .
(٥٣) ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ الجزء الثاني ـ ص٣٠ .
(٥٤) د . العبادي ـ في التاريخ العباسي والاندلسي ـ ص٤٠ .

لاجدوى من مجابهة الدولة الاموية ، وبذلك حولوا اتجاههم نحو مصر التي تمكنوا من الاستيلاء عليها سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م واتخذوها قاعدة للدولة الفاطمية .

٢ ـ دور البحرية الاندلسية في الصراع مع الدول الاوربية

اتبع الامويون في الاندلس منذ البداية سياسة العداء للدولة الكارولنجية او الافرنجية (الرومانية المقدسة) في حين اتبعوا سياسة المهادنة مع الدولة الرومانية البيزنطية في البحر المتوسط وذلك لوجود القاسم المشترك بين الدولة البيزنطية والدولة الاموية في الاندلس وهو عداء الدولتين للدولة العباسية التي حاولت مرات عدة وبخاصة في عهد المنصور استعادة الاندلس وكذلك عداء الدولتين للدولة الافرنجية ، التي حاولت من جانبها التقرب من الدولة العباسية وكانت بين الدولتين مراسلات وسفارات كانت هذه القاعدة ؛ ولكن المجاهدين المسلمين من البحريين كانوا لا يلتزمون بما يقره الحكام في المعاهدات ، فرأينا كيف ساعد البحارة الاندلسيين الاغالبة في فتح صقلية على يد اسد بن الفرات وكذلك الحفاظ على مدن الجزيرة بعد محاولة البيزنطيين استعادت الجزيرة ومحاصرة ميناء ميناو(٥٥) وكذلك سيطرة البحارة الاندلسيين على جزيرة كريت التابعة للدولة البيزنطية ايضا . على ان الطابع العام هو عداء الدولة الاموية في الاندلس للدولة الكارولنجية في فرنسا والدويلات الاوربية الاخرى وبخاصة مدن ايطاليا الواقعة على سواحل البحر المتوسط .

اذ لم ينس العرب المسلمون صراعهم الطويل مع الافرنجة منذ معركة بلاط الشهداء (تور ـ بواتيه) التي استشهد فيها عبد الرحمن الغافقي سنة ١١٤ هـ، ثم محاولات شارلمان غزو الاندلس في حملته الفاشلة في عهد الامير عبد الرحمن الداخل ثم محاولات لويس الحكيم ابن شارلمان (٨١٤م ـ ٨٤٠م) الذي سار على سياسة اسلافه نحو الاندلس، فعمل على بسط سيادة الدولة الكارولنجية على الجزر القريبة من الاندلس مثل الجزر الشرقية (ميورقة ومنورقة ويابسه) وكردانية وكورسيكا، لذلك رأى الامير عبد الرحمن الاوسط انه يجابه الدولة الافرنجية بحريا فحشد لذلك الاساطيل على طول الساحل الشرقي من الاندلس وبخاصة في طرطوشه وبلنسيه وتوجهت الحملات البحرية الى الشواطيء الاوربية في فرنسا وايطاليا ، ثم توجهت الحملات الى جزر البليار التي كانت خاضعة لحماية الدولة الافرنجية بسبب تحرش اهلها بالمراكب الاسلامية المبحرة في المياه القريبة من جزرهم واجبرت اهلها على طلب الصلح وموافقتهم على الخضوع لسيادة الدولة الاموية كما اشرنا من قبل ، حيث سارعوا الى قبول سيادة الامويين وتعهدوا بعدم التعرض لسفن المسلمين مستقبلا . على ان انضمام هذه الجزر لسيادة الدولة الاموية بشكل فعلي ونهائي لم يتم الا في عهد الامير عبد الله بن محمد حين ارسل اليها قائده عصام الخولاني الذي افتتحها واصبح حاكما عليها سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م(٥٦) . وتوجهت اساطيل العرب المسلمين في زمن عبد الرحمن الناصر الى ساحل قطلونية في الجبهة الشرقية من قاعدة المرية وطرطونة وكررت حملاتها مرات متعددة . وبهذا تكون البحرية العربية الاندلسية في عهد عبد الرحمن الناصر ومن بعده ابنه المستنصر قد بلغت من القوة بحيث تمكنت من السيطرة على سواحل فرنسا الجنوبية (البروفانس) واتخذ العرب لهم فيها قواعد ثابتة ، مما دفع دولة الافرنجة الى الاستنجاد بالمدن الايطالية ، لا بل حتى الاستنجاد بالدولة الرومانية البيزنطية(٥٧) على الرغم من العداء التقليدي بين الدولتين .

ولقد تمكن المنصور بن ابي عامر الذي سيطر على حكم الاندلس باسم الخليفة الصغير هشام الثاني (المؤيد) بمساعدة زوجة الحكم وام الخليفة

---

(٥٥) د . تقي الدين عارف الدوري ـ صقلية علاقتها بدول البحر المتوسط الاسلامية ـ بيروت ١٩٨٠ ـ ص٥٨ ـ ٦٠ .

(٥٦) ابن خلدون ـ العبر ـ المجلد الرابع ـ ص٣٥٢ .

(٥٧) د . عبد المنعم ماجد ـ العلاقات بين الشرق والغرب ص١٠٥ .

هشام الاميرة صبح من الاحتفاظ بقوة الاساطيل البحرية وسيادتها على جزء كبير من البحر المتوسط الا ان البحرية الاندلسية بدات بعد عصر الدولة العامرية تسير سيرا حثيثا نحو الاضمحلال فقد اعقب سقوط الخلافة الاموية واختلال ميزان الامن والنظام في البلاد وتفتت الوحدة السياسية للاندلس، ان تجزات البلاد الى دويلات مستقلة حافظت كل منها على استقلالها بامكانياتها المحدودة ، ولم تعد هذه الدويلات تحتفظ بأساطيل قوية ، ما عدا حالات نادرة كما هو الحال بالنسبة لدولة مجاهد العامري ومملكته في دانية والجزائر الشرقية، والذي يعتبر من اكثر ملوك الطوائف جميعا اهتماما بالاسطول ، لهذا اصبحت دولته دولة بحرية ولعب اسطوله دورا هاما في الجهاد البحري في البحر المتوسط الغربي(٥٨) . ثم عادت البحرية الاندلسية مرة ثانية الى النشاط والقيام بدورها وذلك ايام قوة المرابطين وسيطرتهم على الاندلس وكذلك من بعدهم الموحدون حيث اولت كل من دولة المرابطين والموحدين من بعدهم عناية خاصة للاساطيل البحرية فخلقوا منها قوة بحرية منظمة تحت قيادات ماهرة وحكيمة ، مما يذكرنا بقوة الدولة واساطيلها البحرية ايام الناصر وابنه الحكم المستنصر .

انواع السفن وقيادة الاساطيل في الاندلس

استكمالا لبحثنا هذا نرى لزاما ان نتحدث عن السفن وانواعها وقيادة الاساطيل عند العرب في الاندلس وهي لاتختلف كثيرا عن انواع السفن واشكالها واحجامها عما هو معروف في الشرق العربي حيث اهتم الاندلسيون بالقوة البحرية وما يلزمها من المراكب الحربية وكذلك التجارية لذلك انشاوا دورا لصناعة السفن على طول مدن السواحل المهمة مثل طركونه وطرطوشه وقرطاجنة والجزيرة الخضراء ، واهمها على الاطلاق مدينة المرية التي تعتبر القاعدة الرئيسية للاسطول الحربي الاندلسي والتي كانت بنفس الوقت بوابة الاندلس التجارية مع المشرق العربي ، حيث كانت هي ومدينة مالقة اغنى بلاد الاندلس واضخمها ثروة .

(٥٨) د . عبدالعزيز سالم و د . العبادي ـ تاريخ البحرية ـ ص٢٠١ .

كانت دور الصناعة هذه مهتمة ببناء سفن عديدة بين كبير وصغير وبين مركب وسفينة حربية او سفينة تجارية . ومن المؤكد ان الاهتمام كان منصبا على بناء القطع الحربية والتي اتخذت اسماء عديدة ، ومن هذه السفن : ـ

١ ـ **الشواني** : ـ ومفردها شونة او شينية وشيني ضخمة الحجم لها قلاع بيضاء عدد مجاذيفها ١٤٤ لها ابراج عالية وقلاع تستخدم للهجوم والدفاع ويقسم رجالها الى مجموعات ، مجموعة للتجذيف ومجموعة للقتال ومجموعة اخرى للشؤون العامة وهكذا وكانت هذه السفن تطلى بالقار وهي من اجل ذلك عرفت بالاغربة او الغربان كذلك(٥٩) كما كان بعضها يحتوي على اهراء لخزن القمح وصهاريج لخزن الماء العذب.

٢ـ **الحربيات** : ـ من سفن الاسطول الاندلسي ومفردها حربية وهي نوع من الشواني ولكنها اصغر حجما واخف حركة واسرع لحاقا بالعدو .

٣ ـ **الحرائق** : ومفردها : حراقة ـ مراكب حربية مخصصة لاحراق سفن العدو تقذفها بالنفط واللهب . عدد مجاذيفها ما يقارب المائة مجذاف .

٤ ـ **الطرائد** : مفردها طريدة وهي مخصصة لحمل الخيل وتتسع لاربعين فارسا وهي تفتح من الخلف ، كما انها تحمل المقاتلين والذخائر والمؤن وتستعمل لخدمة عامة الناس في ايام السلم .

٥ ـ **الشلنديات** : ـ وحدتها شلندي ، وتسمى بالصنادل ايضا كبيرة الحجم شديدة الاتساع مسطحة من اعلاها ، تستعمل في نقل المؤن والذخائر ، كما تستعمل ايضا في حمل المقاتلة والسلاح وتعادل في اهميتها الشونة والحراقة ، لها ساريتان او ثلاث يبلغ طولها ١٩٥ قدما وعرضها ٣٣ قدم وحمولتها ٦٠٠ شخص(٦٠) .

٦ ـ **البطس** : جمع بطسه ، سفينة لحمل المجانيق والمقاتلة والسلاح تتكون من عدة طوابق ولها اربعون قلعا وتتسع لسبعمائة مقاتل(٦١) .

(٥٩) د . مصطفى الشكعة ـ الادب الاندلسي ـ بيروت ١٩٧٤ ـ ص٤٨٩ .

(٦٠) احسان هندي ـ الحياة العسكرية عند العرب ـ دمشق ١٩٦٤ ـ ص١٧٩ .

(٦١) د . عبد المنعم ماجد ـ تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى القاهرة ١٩٦٣ ص٧٤ ـ ٧٥ .

٧ ـ القراقير : جمع قرقورة ، تستعمل لنقل المؤن اصل اسمها بالاسبانية (كاراكا)(٦٢) .

كما هناك انواع من السفن منها البارجة والشباك والجلاسة وغيرها كثير .

اما المعدات والاسلحة التي تستعمل في القتال البحري فهي كثيرة منها الاسلحة الاعتيادية التي تستخدم في القتال البري كالسيوف والنبال والرماح وغيرها ، ومنها ماهو خاص بالمعارك البحرية كالنار اليونانية التي عرف العرب سر تركيبها الذي هو عبارة عن مزيج من المواد الكيماوية مع كبريت على شكل سائل ، يطلقونه من اسطوانة نحاسية يشدونها في مقدمة السفينة فيقذفون منها السائل مشتعلا او يطلقونه بشكل كرات مشتعلة في الماء والهواء وهي في الاصل من اختراع السوريين نقله البيزنطين ثم استخدمه المسلمون في اساطيلهم(٦٣)

واستعمل المسلمون النفط البحري ويجهز من القطران والكبريت ومواد اخرى ملتهبة تزداد اشتعالا عند ملامستها الماء وتقذف بآلة تسمى النفاطة كما كانوا يقذفونها بالسهام والنشاب والمنجنيق .ومن الاسلحة الخاصة بالاسطول (الباسليقات وهي سلاسل في رؤوسها رمانة من حديد تكسر كل ما تقع عليه لشدة دفعها ، وهناك الكلاليب التي تستخدم لجر سفن العدو عند الاقتراب منها ثم يرمون الواحاً خشبية فتصبح كالجسر ثم يعبرون عليها للقتال . ويمكن ابطال فعل الكلاليب بفاس ثقيلة من فولاذ تضرب على الكلاب فتقطعه .

كما استخدموا نوعا من الصناديق يسمونها التوابيت توضع فوق السواري ويصعد اليها الرجال، قبل استقبال العدو فيقيمون فيها ومعهم احجار صغيرة موضوعة في مخلاة معلقة بجانب الصندوق، فيرمون العدو بالحجارة وهم مستورون بالصناديق، وقد يستعملون النفط مع الحجارة او بدونها.

كما استخدم العرب بعض وسائل الدفاع والتمويه والتورية فكانوا يعلقون حول المراكب من الخارج الجلود او اللبود المبلولة بالخل او الشب لدفع اذى النفط ، وكانوا لا يشعلون في الليل نارا ولا يتركون في المركب ديكا ، اما في النهار فكانوا يسدلون قلوعا زرقاء كي لا تظهر عن بعد(٦٤) .

قيادة الاسطول

كانت قيادة الاسطول من المراكز المهمة لا بل الخطيرة في الاندلس فقد كان الخليفة الناصر يأخذ راي ثلاث شخصيات في امور الدولة المهمة اولها قائد جيش سرقسطة حاضرة الثغر الاعلى وذلك لاهمية موقعها باعتبارها ثغر الاندلس وممثلها الاعظم وثاني الشخصيات الثلاث قاضي قرطبة لمركزه الديني الكبير ، وثالث الشخصيات قائد الاسطول لمدينة المرية ، لان هذه المدينة كانت تضم دار الصناعة الرئيسية في الاندلس ولانها كانت تقع في وسط الاندلس ، وكان قائد اسطول المرية في العصر الاموي يشارك الخليفة الى حد ما في سلطاته ؛ فبينما كان الخليفة يحكم في البر كان قائد الاسطول يحكم في البحر(٦٥) كانت قيادة الاساطيل باجمعها تحت امرة امير الماء ، وهذه التسمية اقتبسها الاوربيون وحورت الى اميرال او ادميرال ؛ وكانت هناك تيارات فرعية للاساطيل في المرافي والمراسي المتعددة ، اما الاسطول الموحد في عرض البحر ، فكانت تقسم قيادته بين القائد العام للاسطول الذي مهمته تدبير الامور العسكرية ، وبين الربان او الاشتيام (التي تعني رئيس الملاحين او المراكب) والذي مهمته قيادة الاسطول فنيا ، وكان لكل مركب منفرد قائد يدعى المقدم ، كما كان هناك النوتية واصحاب المجاذيف والمنادى والادلاء وغيرهم .

وهكذا نرى ان فن البحرية الاسلامية في الاندلس قد ارتقى بشكل واضح مما جعل الاسطول الاسلامي الاندلسي يسهم اسهاما مباشرا في السيطرة على معظم سواحل البحر المتوسط ويسهم بشكل فاعل في الدفاع عن الاندلس بحريا وليس ادل على رقي فن البحرية الاندلسية من ان معظم المصطلحات العربية انتقلت الى اللغات الاوربية عن طريق الاندلس، مما يؤكد علو شان العرب في هذا المضمار ومن امثلة هذه المصطلحات امير الماء التي انتقلت الى اللغات الاوربية وحورت الى ادميرال Admiral ،ودار صناعة التي حورت الى ارسنال Arsenal وكلمة حبل التي انتقلت الى اللغات الاوربية Cable وغير هذه المصطلحات الكثير .

---

(٦٢) انور الرفاعي ـ قصة الحضارة في الوطن العربي الكبير ـ بيروت ١٩٧٣ ص٤١٧ .
(٦٣) جرجي زيدان ـ المرجع السابق ـ الجزء الاول ص١٧٩ ـ ١٨٠ .
(٦٤) جرجي زيدان ـ المرجع السابق ـ الجزء الاول ـ ص٢٠٦ .
(٦٥) د . السيد عبد العزيز سالم ـ تاريخ مدينة المرية ـ ص٤٠ .